الجمـــــهورية الجـــزائرية الديـــــــــمقراطية الشـــــــــعبية
وزارة التعليـــم العـــــــالي والبحـــــــث العلـــــــمي
جامعـــــة أبـــــي بـــــكر بلقـــــــايد تلمســـــان
كليـــــة الآداب واللغـــــــات

المادة : ترجمة المصطلحات اللغوية

الدرس الحادي عشر :

المصطلح النقدي

الأستاذ المسؤول عن المادة :
د. سعيدي منال وسام أستاذة محاضرة 'أ'
السداسي : الخامس
الليسانس : لسانيات تطبيقية

نعرض في هذه المقاربة قضية جوهرية تتعلق باللغة العربية وعلاقتها بالمصطلحات النقدية. إذ لا يخفى علينا مواجهة الباحث والناقد والعالم والأديب والمترجم من مشاكل لغوية عندما تعجز اللغة العربية عن التعبير عن المراد، والمقصود هنا بعجز اللغة أن الفكرة يسيرة لكن الصياغة عسيرة، وتصبح الصياغة عسيرة عندما تخوننا الكلمات ولا نظن أن مستوى العالم أو الباحث أو الناقد يقف عند حدود الكلمات فهو يتعامل مع مجالات النقد متخصصة لذلك نتحدث عن المصطلحات.

إذن تتمحور الإشكالية حول المصطلح الكفء والقادر على سد حاجات هؤلاء الباحثين العرب.

- ترى لماذا أصبح يشكل المصطلح عقبة في وجه الناقد العربي؟

كسائر العلوم لعلم النقد مصطلحاته اذ انه"من المعروف أن لكل علم مصطلحاته وأن المصطلح هو العمود الفقري لأي علم يتميز به عن سواه ويستطيع المشتغلون فيه أن يتفاهموا أو يتبادلوا الأفكار" ، وإذا انطلقت من فرضية أن المصطلحات مفاتيح العلوم .

- ترى هل نجد في اللغة العربية المصطلحات النقدية الازمة للحديث عن نقد عربي الشكل ة المضمون ؟ علما أن هذا العلم مستورد لم يبتكره أهلها ولا ولدت على أرضهم." فنحن في هذه الايام لا نصنع العلم ، بل نستورده ونستورد معه مصطلحاته ـ كذلك يمكن القول اننا لا نصنع النقد الأدبي بل نستورده ونستورد معه مصطلحاته"

هل هناك إمكانية لتأسيس مصطلح نقدي عربي شكلاً ومضمونًا؟

شكّل المصطلح النقدي في الثّقافة العربية المعاصرة هاجسًا كبيرًا واجهه المبدعون العرب في مادة العلوم باللّغة العربية وكذا المترجمون في شتّى أنواع المعرفة من اللّغات الأجنبية إلى اللّغة العربية ولعلّ من المعاناة الكبيرة التي يعاني منها المترجمون بصفة عامة هي القدرة على إيجاد المصطلح النقدي الدّقيق في اللّغة المترجم إليها في المقابل للمصطلح نفسه في لغته الأصلية « وبالنسبة للمترجم قد تظلّ بعد المصطلحات العلمية لغزًّا لا يحلّ إلاّ مع الزمن» وأنّ العناية الكبيرة التي أولاها المترجمون للمصطلح نابعة أصلاً من الأهمية التي أولاها لها النقاد الأصليين وهذه الأهمية لها ما يبرّرها على المستوى المعرفي والوظيفي والاتصالي والتّواصلي

إذن للمصطلح أهمية كبيرة في مجال العلوم كذلك الأمر بالنّسبة للثّقافة العربية حيث اكتسى المصطلح مكانة مرموقة سواء عند المبدعين أو عند المتّرجمين وما اكتشفوه من صعوبات في نقل المعنى العلمي وغياب المصطلح العلمي الدّقيق حيث اهتمّ اللّغويون بالدّرجة الأولى بعلم يحدّد الإمكانات المعرفية واللّغوية السّليمة والتي قد تضمن سلامة إنتاج المصطلح وتسير شؤونه المعرفية في شتىّ أنواع العلوم ويسمى هذا العلم بعلم المصطلح أو المصطلحية، والمصطلحية: « هي علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللّغوية التي تعبّر عنها وهو علم ليس كالعلوم الأخرى المستقلة لأنّه يرتكز في مبناه ومحتواه على علوم عدّة أبرزها علوم اللّغة والمنطق والإعلامية وعلم الوّجود وعلم المعرفة وحقول التخصّص العلمي المختلفة ويستفيد من ثمار هذا العلم المتخصّصون والمترجمون والمعجميون والمسؤولون عن التّخطيط اللّغوي القومي والعالمي . «

إنّ اهتمامنا بالمصطلح النقدي هو أصلاً منبثق " من ملاحظة جوهرية تتمثّل في تعدّد المصطلح في اللّغة العربية أثناء التّرجمة مقابل المصطلح الوّاحد في اللّغة المتّرجم منها وهذا إن دلّ عن شيء فإنما يدلّ على غياب الأرضية المعرفية لدى المترجمين العلميين للمصطلحية وما يدور في فلكها من شروط وتقنيات لغوية ومعرفية وقد تبيّن لنا في أكثر من مرّة أنّ غياب المصطلح الوّاحد الخاضع للأسّس العلمية ومغامرة المترجمين في إنتاج كمّ هائل من المصطلحات غير الثّابتة قد أساء إلى النّص العلمي وهو ينتقل من اللّغات المختلفة إلى اللّغة العربية .

و من نافلة القول أنّ توحيد المصطلح سيبقى في الأخير في جميع الأحوال رهْنًا لاستعماله وتداوله فالاستعمال وحده هو الذي ينقل ويُغربل ومن ثمّ يستبقى المصطلح الموّحد الذي يكتب له البّقاء"

إذن يطرح المصطلح النقدي عددًا من المشاكل اللّغوية والمعرفية وبالتّالي لم تعد صناعته وقفا على الناقد فقط فلا بد وأن تتظافر جهود اللّغوي العالم بلغات مختلفة والعالم المختصّ ومن هذا المنطلق يبقى " أهم مبدأ يجب الأخذ به عند وضع مقابل عربي للمصطلح الأجنبي هو أن ينظر إلى المدلول الاصطلاحي للأجنبي قبل معناه اللّغوي ومن ثمّ يُختار اللّفظ المناسب لذلك المدلول ذلك أنّ كثيرًا من المصطلحات الحضارية والعلمية قد لا يؤدي معناها اللّغوي إلا جزءا ضئيلا من مدلولها الاصطلاحي أو لا يربط هذين فيها إلاّ علاقة ضعيفة ولكنّ واضعي المصطلح يتواضعون على إضفاء مدلول معيّن على لفظه عندما لا يجدون اللّفظ أو الألفاظ القليلة التي تؤدي ذلك المدلول وتستوعبه أو لأي سبب آخر نجهله. "

وقد تصادف البّاحث العربي إشكالية ترجمة المصطلح فيلجأ إلى حلين أوّلهما التّعريب لبلوغ الأهداف المرجوّة من هذا الحلّ وعدم خلق مشكل آخر وهو الأخطاء في صنع المصطلحات النقدية أي وضع مصطلحات لا تتماشى وقواعد اللّغة .

أمّا الحلّ الثّاني الذي لجأ إليه أحيانا المترجمون هو التّرجمة الحرفية للمصطلح النقدي وهي عملية وإن كانت تحمل بين طياتها شيئًا من الإبداع إلاّ أنّها ترجمت عجزًا من حيث خلق أو صناعة مصطلح عربي أصيل ومن كل هذا " يتبيّن أنّ وضع مصطلحات جديدة في أي لغة لتقابل ألفاظًا اختصاصية مستحدثة في لغة أخرى من الأعمال المتخصّصة التي يلزم لمن يقوم بها أن يكون متمكّنًا في كلتا اللّغتين، فضلاً عن وجوب المعرفة الدّقيقة بالمدلولات العلمية أو الحضارية لتلك الألفاظ ولمّا كان كثيرون من المتخصّصين في العلوم ولاسيما بعض الذين حَصَلُوا على تخصّصهم في بلاد أجنبية تعوزهم المعرفة الكافية باللّغة العربية ووسائلها في الاشتقاق ونحوه فلابدّ لهم في هذه الحالة من الاستعانة بأهل اللّغة عند وضع المصطلح العربي واختياره. ولمثل هذه الأسباب لا يكفي واضع المصطلح أن يكون عارفًا باللّغتين متمكّنا فيهما لقيامه بهذه المهمّة لأنّ ذلك لا يمكن أن يغنيه عن العالم المتخصّص في مادة المصطلح العارف بدقائق مدلولاته العلمية التي كثيرًا ما تقتصر الدّلالة اللّغوية عن إظهاره"

إنّ تعدّد التّرجمات وغياب العمل المشترك في مادة علم المصطلحات فتح المجال واسعًا لتهاطُل المصطلحات واختلافها إلى درجة أنّنا قد نجد للمصطلح الأجنبي الواحد عددًا كبيرًا من المصطلحات العربية المقابلة له وهنَا يجد القارئ نفسه في حيرة معرفية وتساؤل جوهري عن المصطلح الصّحيح والصّالح وقد تقودنا هذه الحالة إلى فوضى المصطلحات وإنحرافها وهو أمر يسئ إلى التّرجمة بصفة عامة لأنّنا في المسيرة المعرفية للمصطلح لا يمكننا الحديث عن التّرادف فلكلّ مصطلح علمي معنى واحد ودقيق وأنّ التّرادف قد يؤدي إلى معاني مختلفة حتى وان كانت متقاربة فإنّ المنطق العلمي يرفضها .

إن الأمثلة في هذا السياق كثيرة لكن سنكتفي بذكر واحد

وقف المترجمون العرّب من كلمة Structuralismeمواقف متباينة حيث نقرأ لهم كلمات مختلفة من حيث البّنية الصّوتية والدّلالية فمنهم من ترجم كلمة Structuralismeبالبنيوية ومنهم من اختار لها مصطلح البّنائية ومنهم من استعمل مصطلح التّفكيكية ومنهم من اختار مصطلح التّركيبية فإن كان المصطلحين البّنيوية والبّنائية متقاربين ففي اعتقادنا أنّ مصطلحي التّفكيكية والتّركيبية قد يبدوان بعيدين عن الأداء الدّلالي والوّظيفي لمصطلح Structuralisme

غير أنّ الذي أثار انتباهنا هو الحضور القوّي والمكثّف لمصطلحي البّنائية والبّنيوية حيث أنّ بعض البّاحثين يستخدم بنيوية نسبة إلى البّنية وهو اشتقاق صائبٌ لولا أنّه يجرح النّسيج الصّوتي للكلمة بوقوع الواو بين ضرتيها بما يترتّب على ذلك تشدّق حنكي عند النّطق وهذا ما جعلنا نعدل عن هذه التّسمية ونفضّل عليها البّنائية لسلاستها وقُرب مأخذها راجين أن تكون هذه السّيولة اللّفظية ذريعة لسيولة أخرى وأعلى وهي السيولة الفّكرية والدّلالية.»

ومهما يكن من أمر فلقد استعمل المترجمون العّرب مصطلح البّنائية والبّنيوية بمعنى واحد غير أنّ العناوين تعدّدت واختلفت وفي اعتقادنا وبالعودة إلى أصل الكلمة في اللّغة الفرنسية فإنّ الترجمتين كان بإمكانهما الاتحاد في مصطلح لغوي واحدStructuralisme

فالبّنوية بصفة عامة تعني «طريقة جديدة للنّظر إلى الأنشطة الفّكرية والسّلوكية للمجتمع والفرد وربط بعضها ببعض قديمها وحديثها وأن يكون كلّ نشاط في حدّ ذاته نظامًا متكاملاً بقصد الاهتداء إلى النّظام الكوني الأصيل والبّناء الكلّي للعقل البّشري، نستطيع بذلك أن نصل إلى الحقيقة الكبرى التي تكشف القّناع عن كثير من الأمور المعقدة على المستوى الاجتماعي والفّردي وعلى المستوى العلمي الطبيعي والإنتاج الفّكري...فالبّنوية تبحث إذن عن المستوى العميق كالذي ترتكز عليه الحضارة الإنسانية وذلك من خلال تجاوز الظّاهر إلى البّاطن. «

ومهما يكن من أمر فإنّ المترجمين للّغة العربية بطريقة شعورية أو لاشعورية تفنّنوا في التّعامل مع المصطلح البّنيوي ونوّعوا في الاستخدامات إلاّ مُتناهية للمصطلح البّنيوية والبّنائية وقد فضّل الأستاذ مصباح الصّمد في ترجمته وإشرافه على معجم الإنثنولوجيا والأنثروبولوجيا مصطلح بنيوية.

كما نشير في هذا الّصدد إلى ترجمة الدكتور سليم حداد في المعجم النّقدي لعلم الاجتماع حيث قابل مصطلح Structuralisme بالمصطلح العربي البّنيوية والتي يقول عنها: «تشير هذه الكلمة إلى حركة من الأفكار الغامضة والمعقّدة التي تطوّرت في نطاق علوم اجتماعية أخر»

وخلاصة القول لقد تفنّنَ المترجمون العّرب في استعمال المصطلحين الاثنين البّنيوية والبّنائية كمقابل دلالي ووظيفي لمصطلح Stuctiralisme وفي اعتقادنا كان بالإمكان تفادي هذه الإزدواجية وهذا التّلاعب اللّفظي والصّوتي الذي قد يُحْرجُ القارئ معتقدًا أنّ كلّ مصطلح قد يخفي أشياء خاصة وأنّ المصطلح الآخر قد يعجزُ عن التّعبير عن أشياء أخرى

المصطلح باللغة الفرنسية	المصطلح باللغة العربية
Structuralisme	التفكيكية
	التركيبية
	البنيوية
	البنائية

وعلى هذا الأساس إنّ المطالبة بتوحيد المصطلح أمر ضروري وإنشاء المعاجم اللّغوية العلمية المتخصّصة يساعد البّاحثين والمتّرجمين في التّكفل بهذه الظّاهرة اللّغوية والتي أولاها علماء الاصطلاح عناية كبيرة باعتبار أنّ المصطلحات مفاتيح العلوم وعلى هذا الأساس « ليس من الصّواب قبول مبدأ التّرادف في المصطلحات العلمية بل لابدّ العكس من التّنبيه على وجوب الامتناع من استعمال عدّة ألفاظ لمدلول علمي واحد فذلك مخالف لمبدأ توحيد المصطلح وهو من تمّ مدْعَاةٌ للّبس وسبّب لصعوبة إشاعة المصطلحات الموحّدة المثلى ، ولئن جَازَ للأديب أو الشّاعر أن يستعمل مترادفًا ليُضفي على نتاجه طلاوة ورونقا على مترجم كتاب علمي أو مؤلفه أو كاتب بحْثَ إلاّ أن يلتزم لكلّ مدلول علمي مصطلحا واحدًا لا يغيره في كتابه أو بحثه لما قد يُسَبّبه ذلك لقارئه من إرباك وعدم وضوح